مُقَدِّمَة

عندما يطرح مفهوم تجديد الخطاب يقفز إلى الذهن مباشرة أن المقصود هنا هو تجديد الخطاب الدينى ، وذلك تمشيا مع النهج العام ، والتيار السائد حاليا بالحوار والضغط والنقاش حول هذا الموضوع . ومع اتفاقى فيما يذهب إليه قطاع لا بأس به من المثقفين من أهمية تجديد الخطاب بمفهومه العام . الخطاب الدينى، والخطاب السياسى ، والخطاب الإعلامى . أتصور أنه حتى الخطاب الخاص بين الأفراد يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

عشنا لسنوات – بل لعقود طويلة – يحكمنا أسلوب فى التفكير وبالتالى أسلوب فى التعبير عن هذا التفكير، هذا الأسلوب اعتمد فى أساسه على التقسيم الحاد بين المواقف ، بات الأسود والأبيض هما السمة الغالبة هنا، واللونان الأسود والأبيض هنا لا يعبران عن الخير والشر ، ولكنهما يعبران عن المواقف المتضادة والمتعارضة حتى الانفصام أو الصدام .

غابت عنا مفاهيم الحوار ، وبات كل منا يعتقد أنه يمتلك مفاتيح الحقيقة المطلقة التى لا يمتلكها ولن يمتلكها سواه ، وبالتالى بات أسلوب الحوار والخطاب هو الأسلوب الذى يرفض

الآخر منا ، وينفى المختلف بيننا ، وباتت الاتهامات تتقاذفها ، وتتلون بالأبيض أو الأسود وفقا لقاذفها ، فهذا إسلامى وهذا فوضوى وهذا علمانى والآخر بعثى والثالث رجعى انتهازى ، هذه الحالة من التنابذ خلقت مناخا ليس أقل ما يوصف به المناخ الفاسد ، وهو مناخ فيما يبدو اعتدناه على طول عشرتنا معه فلم نعد نتبين فساده إلا قليلا .

أذكر يوما جلست إلى د . أحمد الطيب فى نقاش فى مكتبه وقت كان مفتيا لمصر ، وكان من بين ما طرح من أفكار ورؤى فكرة حوار موسع بين كل أبناء هذا الوطن مسلميهم وأقباطهم ، أصحاب الفكر الإسلامى السياسى والعلمانيين من أبناء الوطن ، بعثيون ، ناصريون ، قوميون ، ليبراليون ، كل هؤلاء من حقهم ومن حق الوطن عليهم أن يجلسوا ويتحاوروا ، وكان من بين ما ذكر أن العلمانيين العرب لا يمكن اعتبارهم كالعلمانيين الأوروبيين ، حيث أنه لا يوجد علمانى عربى إلا وهو مؤمن بدينه أيا كانت ديانته ، وهذا فى حد ذاته نقطة مهمة يمكن البدء والبناء عليها ، فلا نرفع راية التكفير والتشكيك قبل الحوار .

أظن ألا مخرج من الحالة التى نعانيها الآن – وأقصد بهذه الحالة ذلك التحفز المسيطر على مختلف الأطراف ، وبالتالى حالة الاضطراب والتخبط التى نعانيها ، كشعوب ومجتمعات – إلا ببدء حوار حقيقى بين أطراف الأمة باختلافاتها وتبايناتها ، دون أن تكون هناك أحكام مسبقة ، ولا مواقف مسبقة ، ودون أن

يدعى أى طرف أنه يمتلك الحقيقة المطلقة ، الدنيا ليست أبيض وأسود ، وإنما هى مزيج من كل الألوان ، وجمال الدنيا وقوة المجتمعات تأتى من خلال هذا التباين والتداخل بين كل هذه الألوان ، وكل هذه المواقف التى حتى لو بدت متباينة ومتناقضة إلا أنها تظل جزءاً من الصورة المهمة للأمة والمجتمع ، والتى بدونها لن تكون الصورة ذات الصورة .

نحن فى حاجة حقيقية إلى تجديد خطابنا ، ليس خطابنا الدينى فقط ، بل خطابنا التحاورى ، فى حاجة إلى استعادة القدرة على الحوار والإيمان بأن الاختلاف الذى يمكن أن يكون سببا لانهيار مجتمعات ، هو ذاته الاختلاف الذى يمكن أن يكون أحد أهم عناصر قوة هذه المجتمعات ، لو فقط تعلمنا كيف نختلف دون أن ندمر .

ومن هنا فسأحاول أن أقدم فى هذا الكتاب بعض الرؤى والأفكار الخاصة بتجديد الخطاب بشتى أنواعه السياسى والثقافى والاجتماعى ، الخطاب الذى يساهم فى صناعة وطن تخلقه أفكار أبنائه لا الأفكار المستوردة ، وجعله أجمل وأقيم وأروع ، سأقدم هنا خطابا لا أسعى إلى أن يتفق مع الأفكار المطروحة ولا أن يختلف معها بقدر ما أتمنى أن يكون لبنة فى جدار الإصلاح الذى نتمناه .

عبد اللطيف المناوي